بسم الله الرحمن الرحيم

مؤلفات النحو بين القدماء والمحدثين

إعداد
د. محمد بن محمود فجال
جامعة الملك سعود – الرياض

ملخص :

اعتنى العلماء في القرون الأولى بالتأليف والتصنيف في اللغة العربية بما يناسب عصورهم وطلابهم ، فظهرت الكتب المُطوَّلة والكتب المختصرة والشروحات والتعليقات والمتون وشروحات المتون .

وكانت هناك منافسة بين العلماء في هذا الجانب ، ومما يدل على ذلك ما قاله ابن مالك (ت 672هـ) : «فائقة ألفية ابن معطي» في أول ألفيته التي نظم فيها قواعد النحو ، في إشارة إلى تفضيل ألفيته على ألفية يحيى بن عبد المعطي الزواوي (ت 628هـ) ، وهذا دليل على عنايتهم بتطوير الكتب الدراسية وتجويد المسائل وصياغتها .

وبدر الدين العيني (ت 855هـ) يشير في أول كتابه «فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد» إلى طلب طلابه منه إعداد هذا الكتاب الذي كان اختصارًا عن كتابه الأول «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» ، وفكرة كتابه هذا هي في حدِّ ذاتها لونٌ من ألوان التطوير والتجديد في طريقة التعليم آنذاك .

وتستمر مسيرة تطوير التعليم في العصور التالية ، ثم يظهر ركود في عصور تالية ، واعتماد على القديم ، دون محاولة في التجديد ومراعاة الأساليب الحديثة في التعليم ، فما زال كتاب طلاب بهاء الدين ابن عقيل (ت769هـ) الذي هو شرح لألفية ابن مالك يُدرَّس في جامعاتنا كما هو دون تطوير في طريقة عرض المسائل .

وفي المقابل هناك تجارب حديثة في بعض الدول لقيت نجاحًا ونتائج مُجدية .

هذا البحث سيكشف النقاب عن كثير من التجارب الحديثة في تعليم اللغة العربية ومدى جدواها ومقارنتها بتجارب قديمة .

مقدمة:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

إنَّ واقع تعليم اللغة العربية في الوقت المعاصر شَغَلَ الأساتذة والتربويين والمسؤولين ، فعلى الرغم من بذل الجهود ومحاولة إقامة المؤتمرات والندوات لدراسة مشكلات تعليم اللغة العربية ودراسة أمر المقررات (الكتب الدراسية) في التعليم العام وفي التعليم الجامعي فإنه يبقى مستوى الخريجين دون المأمول ، ولدى تداول القضية يلقي بعضهم اللوم على سياسة المناهج التعليمية وآخرون يلقون اللوم على الكتب الدراسية غير المتطورة ، وغيرهم يلقي اللوم على الطلاب ذاتهم.

ليس المقصود في بحثي هذا أن أتناول الأطراف الأربعة للقضية (الأستاذ والمنهج والكتاب والطالب) إنما تناولت طرفًا واحدًا وهو (الكتاب)؛ للأسباب الآتي:

1- الأهمية الكُبرى للكتاب الدراسي على العملية التعليمية في عصر التطور العلمي والتكنولوجي، فإذا قُدِّمت المادة العلمية بشكل مناسب لعقول المعاصرين ولثقافتهم لاقت منهم القبول وأَحْدَثَتْ تَغَيُّرًا إيجابيًّا .

2- قلة جهود المعاصرين في مواكبة التطور الهائل للمعرفة المعاصرة .

وهذه الدراسة تجيب عن الأسئلة الآتية :

1- هل كانت هناك عناية خاصة عند القدماء في تأليف الكتب الدراسية؟
2- ما الجوانب التي اعتنى بها القدماء في الكتب الدراسية التي صنفوها؟
3- ما الجهود المعاصرة للتأليف في الكتب الدراسية؟
4- ما جوانب عناية المعاصرين في الكتب الدراسية؟
5- ما جدوى الجهود المعاصرة؟

وقد جعلت البحث في تمهيد ، تحدثت فيه عن المصطلحات المذكورة في البحث .
وفي مسألتين ، هما :
المسألة الأولى : تأليف كتب النحو عند القدماء .
المسألة الثانية : تأليف كتب النحو عند المعاصرين .
ثم جاءت الخاتمة بنتائج البحث .
ثم قائمة المراجع .
والله الموفق ، والهادي إلى سواء السبيل .

تمهيد :

مفاهيم المصطلحات المستعملة في البحث على النحو الآتي :

القدماء: المراد بهم النحويون من لدن سيبويه المتوفى سنة (180هـ) إلى نهاية القرن العشرين الميلادي .

المعاصرون: هم المعنيون بتدريس اللغة العربية في الزمن المعاصر ، من سبعين سنة إلى هذا اليوم .

الكتاب الدراسي: هو الكتاب الذي يُقرر تدريسه في مدارس التعليم العام والجامعات، ويُعَدُّ المرجع الرئيس للمنهج.

المنهج التعليمي: هو عناصر الخطة الدراسية للمقرر ، التي تشتمل على الأهداف الخاصة والعامة والمعارف الأساسية والفعاليات والتقويم .

الأمالي الجامعية : هي المذكرات والمختصرات التي تكون من إملاء الأستاذ .

المسألة الأولى : تأليف كتب النحو عند القدماء

وضع سيبويه «الكتاب» في النحو ، وهو أقدم كتاب لدينا في هذا العلم، وتوالى العلماء من بعده معتنين به ، فالأخفش الأوسط (ت 215هـ) شرحه ، وكذلك المازني (ت 248هـ) وابن السراج (316هـ) وابن درستويه (ت 347هـ) وأبو الحسن السيرافي (ت368هـ) والفارسي (ت 368هـ)، وهناك من شرح مشكلاته كالجرمي (ت225هـ)، والسجستاني (ت 250هـ) والمبرد (ت 285هـ)، وآخرون شرحوا شواهده كالنحاس (ت338هـ) ، ويوسف السيرافي (ت 385هـ) ، والأعلم الشنتمري (ت 476هـ) [1] .

ثم بدأ التأليف الموسوعي، فالمبرد وضع كتاب «المقتضب»، وابن السراج وضع «الأصول في النحو»، وأبو علي الفارسي وضع كثيرًا من الكتب في النحو ، والزمخشري وضع «المفصَّل» وتلاه شروحاته وعلى رأسها «شرح ابن يعيش»، وغيرها كثير.

فظهرت حاجة كبيرة إلى وضع المختصرات والمتون، وتبع هذه المختصرات شروح لها، ثم حواشٍ على شروحها .

وقد اجتهد العلماء آنذاك في تقديم النحو لأجيالهم بأساليب متعددة بحسب ما يرون أنه الأنسب ، فمطولات وموسوعات ومتون شعرية ونثرية وحواشي وكتب في الألغاز والإعراب والأمالي .

وقد حفلت الحياة العلمية قديمًا باللقاءات العلمية على أنواعها ، في الكتاتيب أو مجالس الخلفاء أو مجامع العلم أو المدراس أو الجامعات ، ونَتَج عن هذه اللقاءات الكثير من الأعمال العلمية ، التي جاءت تلبية لرغبات الطلاب أو لرغبات الزملاء المعاصرين آنذاك أو كانت إملاءً من الأساتذة لطلابهم .

فعلى سبيل المثال كانت هناك مجالس مناظرات بين العلماء ، تُعقدُ في المساجد وفي القصور ، ويحضرها طلبة العلم والمسؤولون آنذاك ويحضرها العلماء من البصرة والكوفة والشام ومصر ، فيتناقشون في المسائل العلمية ويُفَنِّدونها، وقد تحدَّث عن ذلك «السيوطي» في كتابه «الأشباه والنظائر» فعقد فصلًا عنوانُه: في المناظرات والمجالسات والفتاوى المكاتبات والمراسلات [2] .

من ذلك المناظرة المشهورة بين سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية ، والجدال بين أبي العباس أحمد بن يحيى والأعرابي في حضرة الأمير أحمد بن سعيد في معاني أبياتٍ غريبة [3] .

وكذلك مناظرة أبي العباس ثعلب مع المبرد في كلمة (لواذًا) في قوله تعالى : ژ ڈ ڈ ڈ ژ ژڑ ژ [4] .

أمثال هذه المناظرات والمجالس أنتجت فصولًا علمية في مصنفات هؤلاء العلماء أو تلامذتهم.

وكذلك المجالس التي كان يتحدث فيها العالِم ، ويكتبُ الطلاب ما يقوله ، وتُسمَّى هذه العملية بالإملاء ، فقد أنتجت كُتُبًا علمية تَزْخُرُ بها المكتبة العلمية ، مثل : أمالي الزجاج المتوفى سنة (339هـ) التي حوت كثيرًا من الفوائد القرآنية والإرشادات النحوية والدقائق البلاغية والطرائف الأدبية والشعرية، وأمالي ابن الشجري المتوفى سنة (542هـ) التي فيها كثير من الفوائد النحوية واللغوية ، وكذلك أمالي ثعلب وأمالي أبي علي القالي وأمالي المرتضى .

---

(1) انظر «كشف الظنون» (2 : 1426 – 1427) .
(2) انظر «الأشباه والنظائر في النحو» للسيوطي (3: 29) .
(3) انظر «ضحى الإسلام» لأحمد أمين (2 : 47) .
(4) (النور : 63) .

وقد وضع العلماء القدماء الكتب التعليمية ، التي سعوا فيها إلى التيسير والعرض بأسلوب مناسب .

من ذلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة (471هـ) فقد ألَّف كتاب «العوامل المئة» وقال في مقدمته : «إن شاء الله تعالى ينتفع به كل طالب، ويرغب فيه كل راغب، وأسأل الله تعالى أن يجعله مقبولًا عند الأحباب» [5] ، فهذه العبارة في المقدمة تدل على عنايته بالكتابة لطلاب العلم آنذاك ، ورغبته الكبيرة أن تكون كتابته مقبولة عندهم ، والقبول يحصل بحسن عرض المسائل وحسن الأسلوب .

وكذلك الشيخ أبي علي الحسن القيسي، من علماء القرن السادس الهجري، الذي وضع كتاب «إيضاح شواهد الإيضاح» ، وقال في مقدمته : «فإنك سألتني أنْ أشرحَ لك شواهد الإيضاح، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي، وأُبَيِّنَ لك موضع الشاهد منها، وأكشفَ خفاءَ الإشكالَ عنها» [6] إلى آخر ما قال، ومن هذا النص يظهر أنَّ المصنف ألَّف الكتاب بسبب طلبٍ من أحد طلابه، وبيَّن سعيه لكشف خفاء الإشكال في الشواهد، وأنَّ هذه الشواهد من أنفع الشواهد وأعيد الفوائد، وهي مهمة في الأدب واللغة.

وبعضهم يسعى إلى التجديد في زمانه ، والكتابة بطريقة أنسب مما كُتب فيما سبقه ، فهذا «أبو حيان» المتوفى سنة (745هـ) وضع كتاب «ارتشاف الضرب من لسان العرب» ، وقال في مقدمته يتحدث عن الكتب السابقة منتقدًا إياها: «وكان من تقدمنا قد انتزع من الكتاب تآليف قليلة الأَحكام، عادمة الإتقان والإحكام، يحلها النقد، ويَنْحَلُّ منها العقد، وربما أهملوا كثيرًا من الأبواب، وأغفلوا ما فيه من الصواب، فتآليفهم تحتاج إلى تثقيف، وتصانيفهم مضطرة إلى تصنيف» [7] ، وقال عن كتابه الذي سعى إلى أن يتلافى فيه عيوب الكتب السابقة : «ولما كان كتابي المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل قد جمع من هذا العلم ما لا يوجد في كتاب، وفَرَعَ [8] بما حازَه تآليف الأصحاب، رأيت أنْ أجرد أحكامه، عارية إلا في النادر من الاستدلال والتعليل، وحاوية لسلامة اللفظ، وبيان التمثيل، إذ كان الحكمُ إذا بَرَزَ في صورة المثال أغنى الناظر عن التَّطلب والتسآل» ثم قال «وقرَّبت ما كان قاصيًا، وذللت ما كان عاصيًا، حتى صارت معانيه تدرك بلمح البصر، لا تحتاج إلى إعمال فكر، ولا إكداد نظر» [9] ، فالمؤلف في هذا الكتاب عَمَدَ إلى وضع منهجية جديدة ، فيها التيسير بتجريد الأحكام، والعناية بالأمثلة، فهو يرى أنها تُقَرِّب الأحكام وتغني عن الاستفسار ، وكذلك تقريب المسائل الصعبة والعصية ، حتى أصبحت يسيرة تُدرك بمجرد القراءة الذاتية ، ولا تحتاج إلى كثرة تفكير .

وهذا «ابن هشام» المتوفى سنة (761هـ) سعى إلى الاختصار في كتابه «الألغاز النحوية» فهو يرى أن الإطالة مدعاة إلى الضجر والملل والعزوف ، قال في مقدمته : «غير مشتغل بإيراد النظائر والأمثال، فيوصل إلى الضجر والإملال، ليكون بذلك داعيًا إلى النظر فيه، وأنسًا لحافظه » [10] .

وبعد وضع مختصرين لطلابه ، وهما : متن شذور الذهب ومتن قطر الندى ، قاصدًا جمع مسائل علم النحو بعبارات جامعةٍ مختصرة شرحهما بأسلوب يقصد فيه طرائق معينة ، ففي شرح شذور الذهب كان يقصد تدريب الطلاب وتعريفهم بطريقة مراجعة المسائل وحَلِّها، فقال واصفًا طريقته في الكتاب: «تممتُ شواهده، وجمعتُ شوارده ... » ثم قال : «قصدت فيه إلى إيضاح العبارة، لا إلى خفاء الإشارة، وعمِدْتُ فيه إلى لفِّ المَبَاني والأقسام، لا إلى نشر القواعد والأحكام» وقال : «وكلما أنهيتُ مسألةً ختمتها بآية تتعلق بها

(5) «العوامل المئة في أصول علم العربية» للجرجاني (72).
(6) «إيضاح شواهد الإيضاح» (49).
(7) «ارتشاف الضرب» (3).
(8) أي: صَعَدَ وعلا .
(9) «ارتشاف الضرب» (3- 4).
(10) «الألغاز النحوية» لابن هشام (26).

من آي التنزيل، وأتبعتها بما تحتاج إليه من إعراب وتفسير وتأويل» ثم علَّل ذلك بقوله: «وقصدي بذلك تدريب الطالب، وتعريفه السلوكَ إلى أمثال هذه المطالب» [11] .

وكانت هناك منافسة في التأليف للطلاب ، وذلك باستدراك مسائل غفل عنها من سبق ، أو أو بتيسير العبارة أو نحو ذلك ، فابن مالك المتوفى سنة (672هـ) رأى أنْ يُقدِّم لطلابه أرجوزة في النحو تُيَسِّر لهم إتقان مسائل النحو والصرف، فوضع الألفية ، وسعى أن تكون أنسب من عمل سابقيه ، قال في مطلعها [12] :

تُقَرِّبُ الأقصى بلفظٍ موجز وتبسط البذل بوعدٍ منجز
وتقتضي رضا بغير سخط فائقةً ألفيةً ابنِ معطِ

وشروحات ألفية بن مالك ، شرح ابن هشام ، وشرح ابن عقيل وشرح ابن أم قاسم وشرح ابن الناظم كلها كان قصد مؤلفيها الإتيان بشيء أنسب لطلابهم ، أو تلبيةً لرغبة طلابهم ، ويعدونها من باب المختصرات، وكأنهم وضعوا شروحًا مختصرة لمتن مختصر.

فابن أم قاسم المتوفى سنة (749هـ) قال في مقدمة كتابه : «فهذا توضيح مختصر لمقاصد ألفية ابن مالك -رحمه الله تعالى- يجلو معانيها على طلابها ويظهر محاسنها على حفاظها، سألنيه بعض حفاظها المعتنين باستنباط فوائدها، فأجبته إلى ذلك رغبة في الثواب، وتقريبًا على الطلاب» [13] .

و«ابن هشام» قال في مقدمة شرحه للألفية : «وقد أسعفتُ طالبيه بمختصر يدانيه، وتوضيح يسايره ويُباريه، أحُلُّ به ألفاظه وأوضح معانيه، وأحلِّلُ به تراكيبه، وأُنَقِّحُ مبانيه، وأعذب به موارده، وأعقل به شوارده، ولا أخْلي منه مسألة من شاهد أو تمثيل، وربما أشير فيه إلى خلاف أو نقد أو تعليل، ولم آلُ جهدًا في توضيحه وتهذيبه، وبما خالفته في تفصيله وترتيبه» [14] .

وهذه المخالفة في التفصيل والترتيب هي سعي من ابن هشام لتقديم أسلوب يراه أنه أنسب لطلابه .

ثم جاء «السيوطي» المتوفى عام (911هـ) فوضع ألفية في النحو ، قال في مطلعها :

فهـذه ألفيـــةٌ فيـــه حَـوَتْ أُصولُهُ، ونَفْـعَ طـلابٍ نَوَتْ
فائقــةٌ ألفيــةَ ابنِ مالــكِ لكونِها واضِحَــةَ المسالِكِ
وجمعِها من الأصولِ ما خَلَتْ عنهُ، وضبطِ مُرسلاتٍ أُهْمِلَتْ

فبغض النظر عن حقيقة نتائج مقارنة هذه الأعمال إلا أنَّ كلَّ واحدة منهم سعى للتجديد ، ولكتابة شيء جديد يُناسب طلابه وأبناء عصره ، ويستدرك ما فات سابقيه .

وكان «السيوطي» وضعَ كتابًا اسمه «جمع الجوامع» جمع فيه مسائل النحو صغيرة وكبيرة ، ويرى أنه يقصر عن هذا العمل الأواخر والأوائل، ثم أراد أن يضع شرحًا له ، فرأى أن الإطالة غير مجدية في عصره ، فسعى إلى شرحه باختصار في كتاب أسماه «همع الهوامع» وقال في مقدمته : «مع إلحاح الطلاب عليَّ في شرح يرشدهم إلى مقاصده، ويُطلعهم على غرائبه وشوارده، فنجَّزْتُ لهم هذه العُجالة الكافلة بحلِّ مبانيه، وتوضيح معانيه، وتفكيك نظامه، وتعليل أحكامه» [15] ، فهو لم يخرج عن تلبية احتياجات طلابه في الاختصار والإيضاح ووضع الشرح .

(11) «شرح شذور الذهب» لابن هشام (31).
(12) «الخلاصة في النحو» لابن مالك (2) .
(13) «توضيح المقاصد والمسالك» للمرادي (1 : 261) .
(14) «أوضح المسالك» لابن هشام (1 : 384) .
(15) «همع الهوامع» للسيوطي (17) .

نستنتج من ذلك أن القدماء سعوا إلى التجديد في أساليب العرض والتيسير والتوضيح وخدمة العلم ذاته ثم خدمة طلابه ، وكانت مظاهر هذه الجهود تتمثل في الآتي :

1- اختصار الكتب النحوية الطويلة .
2- تقريب المسائل بأساليب جديدة .
3- شرح المسائل والتفصيل بها .
4- تيسير الكتب المهمة بمصنفات خاصة ، فمؤلفات لشرح شواهدها، ومصنفات لشرح مشكلاتها، ومصنفات لشرحها بوجه عام .
5- وضع الموسوعات .

وقد ظهرت دعواتٌ آنذاك إلى التيسير ، ومن أظهرها دعوة ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ) إلى تيسير النحو في كتابه «الرد على النحاة» ، وطالب بإلغاء التقدير والعلل ، واستشهد على كلامه بمسائل ، وذكر رأيه فيها ، ومع ذلك فإني أرى أنَّ القدماء قدموا لأبناء عصرهم ما يناسب ثقافتهم وقدراتهم ، وفي مقابل ذلك عاد الباحثون المعاصرون إلى الدراسات المتعمقة في كتب القدامى ، فدرسوا العلة والاستطراد والدلالة وغيرها كثير، ثم طبَّقوا على المُدَوَّنات نظرياتٍ كثيرة ، كالنظرية الإشارية والسلوكية والتحليلية والتصورية والسياقية والحقول الدلالية وغيرها كثير ، وهذا كله من باب التفصيل في دلالة العبارة وتعليلها ؛ لذلك لا يمكننا القول بأن مؤلفات القدماء معقدة ، فهي تناسب روح عصرهم ، وتناسب ثقافاتهم ، وفيها تأسيس للعلوم .

المسألة الثانية : تأليف كتب النحو عند المعاصرين

هناك تآليف أعدّها العلماء المعاصرون من باب الرغبة العامة لتيسير النحو على الدارسين، وهناك جهود على مستوى الأكاديميين والباحثين في وزارة التربية والتعليم .

وكانت طرائق التيسير تنحصر في الآتي :

1- عرض للقواعد بعبارات بسيطة .
2- التمثيل بأمثلة من محيط البيئة المعاصرة .
3- طباعة الكتاب باستعمال الألوان .
4- استعمال الرسم الشجري .
5- حذف الأمثلة أو المسائل التي لا تستعمل في المحادثة .

وقد وضعت وزارات التعليم بعض الخطط لتأليف الكتب الدراسية ، وطورتها عامًا بعد عام، ثم أصدرت جربة لسلسلة الكفايات اللغوية ، ثم تجربة لسلسة لغتي الجميلة .

وهذا التجديد هو خطوة جيدة في سبيل الارتقاء إلى الأفضل ، والسعي الحثيث للتطوير ، والإفادة من نظريات التعليم الحديثة .

وقد تبنت تقنية الكفايات بعض الدول هي : المغرب وتونس وعُمان والسعودية [16] ، من خلال دراسات كانت نتائجها ضرورة انفتاح المدرسة على الواقع والمجتمع لإمداده بالكوادر المؤهلة والمدربة والمتميزة لخوض غمار العمل الوظيفي والمهني والتقني والحِرفي ، فجاء هذا المنهج الذي يعتمد على استثمار المعارف السابقة ويبني عليها الاحتياجات الجديدة من المهارات اللغوية والأدائية ، وقد قسموا المنهج إلى خمسة أقسام هي : كفاية نحوية ، وكفاية إملائية ، وكفاية قرائية ، وكفاية اتصال كتابي ، وكفاية تواصل شفهي .

وبذلك يعتمد المنهج على المبادئ الآتية : الكفايات اللغوية ، والتدريب بدلاً من التعلم، والتعلم من أجل التمكن ، والتقويم المستمر ، ونشاط المتعلم ، ورعاية الفروق الفردية ، والتدريب لتنمية التفكير ، واستعمال الوسائل التعليمية السمعية والبصرية ، والقواعد الخمس للتعلم (الاهتمام، والتكرار، والتطبيق، وإضفاء الشخصية، والتعلم المستمر) [17] .

ثم ظهرتْ سلسلة لغتي الجميلة .

أما الجامعات فأتناول الحديث عنها في ثلاثة عناصر :

الأول : جامعاتٌ وضعتْ مؤلفاتٍ خاصةً لها .
الثاني : جامعات وضع بعض الأساتذة فيها مؤلفاتٍ دراسيةً خاصةً بهم .
الثالث : جامعات وأساتذة رفضوا فكرة التأليف في الكتب الدراسية ، وأعطوا طلابهم بعض المنتقيات (المصورات) من الكتب القديمة أو الحديثة أو بعض المختصرات التي تُملى على الطلاب ، ثم يتناقلها الطلاب عبر محلات تصوير المذكرات .

أما الجامعات التي وَضَعَت مؤلفاتٍ خاصة لها ، ككتب اللغة العربية في الجامعة العربية المفتوحة .

وأما المؤلفات الخاصة فهذا شاع في كثير من الجامعات العربية ، فيؤلف الأستاذ كتابًا في النحو أو الصرف أو العروض ، بالطريقة التي يراها الأستاذ أنسب في العرض أو في الأمثلة أو في التطبيقات أو ترتيب الفصول أو في اختصار مسألة أو الإطالة بها .

---

(16) «دراسات في المصطلح اللغوي» أ.د. خالد بسندي (279).
(17) «دراسات في المصطلح اللغوي» أ.د. خالد بسندي (283 – 298).

وقد قدَّم الأساتذة على مرِّ السنين مؤلفات من هذا الباب لاقت القبول ، وأفاد منها طلبة العلم ، نحو : جامع الدروس العربية ، والنحو الوافي لعباس حسن، والنحو التطبيقي لعبده الراجحي ، وغيرها .

وقد يشترك أكثر من أستاذ من تأليف كتاب ، فيُعْنى كل أستاذ بقسم ببعض الفصول .

أما الجامعات التي رفضت فكرة إيجاد مؤلفات للأساتذة ، ولم تعمل على دعمها ، وتشجيع الأساتذة عليها ، فقد انتشر فيها ما يُسمى بالمذكرات ، وهي ملخصات يكتبها الطلاب من إملاء الأستاذ ، أو تكون من إعداد بعض الزملاء ، أو يعطي الأستاذ بعض المصورات المختارة من الكتب ، ففصل من هذا الكتاب وفصل من ذاك وهكذا .

وإني أرى أنَّ هذه الطرائق سلبية ، فالمختصرات والملخصات تحتوي على مادة علمية ضعيفة ، لا تخدم الطالب ، ولا تأخذ بيده إلى تطوير معارفه الأساسية وتنمية مهاراته في البحث والتفكير ، إنما هي كالبرقيات التي يحفظها فيكتبها في الاختبار ثم ينساها .

والاطلاعُ على الكتاب بأكملِه وقراءةُ مقدمته وخاتمته ومعرفةُ فصوله خيرُ طريقة للاطلاع والمعرفة ، أما الاطلاع على مذكرة فيها مصورات لفصول مستلة من بعض الكتب لا تفيد الطالب في معرفة الكتاب وخصائصه والفرق بينه وبين غيره .

مناقشة الذين رفضوا فكرة تأليف الكتب الدراسية :

ولدى مناقشة الأساتذة الذين رفضوا وضع كتب دراسية ، انحصرت الأسباب عندهم في أنَّ الطالب الجامعي يجب أن يكون منفتحًا على كل مراجع المقرر ، وألا ينحصر ذهنه وعلمه وتفكيره وهمته في كتاب واحد ألَّفه أستاذ واحد أو ثلاثة أساتذة أو خمسة بحسب أفكارهم ، فالطالب الجامعي يجب عدم تقييده .

وفي استطلاع للنتائج السلبية لعدم وجود كتاب دراسي جامعي ، تبيَّن الآتي :

1- ضياع أوقات الطلاب في التنقل بين المراجع ، فلا أدركوا هذا ولا هذا .
2- حصول ذهول من كثرة المراجع ، ظنًّا بأنها كلها مفروضة عليهم حفظًا وفهمًا .
3- انخفاض درجات كثير من الطلاب ، ورسوب آخرين بسبب هذا التشتت بين المراجع.
4- عزوف كثير من الأساتذة عن التأليف في الكتب الدراسية لأنها غير مرغوبة على المستوى الأكاديمي، وضياع مهاراتهم وإبداعاتهم .
5- تراجع المستوى العلمي العصري والجمود بالبقاء على ما سبق من تآليف .
6- عدم وجود كتب معاصرة تواكب روح العصر ومتطلباته وثقافته.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أوصي أن يتبنى الأساتذة المعاصرون سواء في التعليم العام أو في التعليم الجامعي تأليف كتب تدريسية ، يضعون فيها إبداعاتهم ، وكل ما يستطيعون من مواد علمية بطرائق ابتكارية ، ويراعى فيها الآتي :

1- تلاؤم المحتوى مع الخطة الدراسية المعتمدة .
2- عرض المادة العلمية بأسلوب متدرج تدرجًا منطقيًّا ومترابطًا .
3- العناية بالرسومات التوضيحية ، والبيانية .
4- وضع أسئلة وتطبيقات في نهاية كل فصل .
5- اشتمال التطبيقات على المستويات الثلاثة : المعرفي والمهاري والتفكيري.
6- توافق اللغة وطريقة العرض مع مستوى المتعلمين .
7- اشتمال الكتاب على إحالات إلى كتب أخرى
8- اشتمال الكتاب على إحالة إلى مواقع في الشبكة العالمية .
9- ربط المعلومات بمستجدات الزمن المعاصر ومخترعاته .
10- ربط المعلومات هموم المجتمع المعاصر وقضاياه ومشكلاته .
11- إمكانية التعلم الذاتي .
12- إثارة الذهن للبحث والاستزادة .
13- التشجيع على التعلم التعاوني ومشاركة الآخرين .
14- العناية بحسن طباعة الكتاب وحسن إخراجه وألوانه .
15- تجريب الكتاب لمدة فصلين دراسيين ثم تطويره وتعميمه .
16- الحرص على دوام تطوير الكتاب في كل فصوله .
17- استطلاع آراء الطلاب والاستئناس بها .

المراجع

- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان، ت د. رجب عثمان محمد، ود. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى، 1418هـ 1998م.
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ 1987م.
- الألغاز النحوية لابن هشام، ت موفق فوزي الجبر، دار الكتاب العربي، دمشق، الأولى، 1417هـ 1997م.
- أوضح المسالك على ألفية ابن مالك لابن هشام، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- إيضاح شواهد الإيضاح لأبي علي القيسي، ت د. محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب، بيروت، الأولى، 1408هـ 1987م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، شرح وتحقيق أ.د. عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولى، 1422هـ 2001م.
- الخلاصة في النحو لابن مالك ، لندن .
- دراسات في المصطلح اللغوي، أ.د. خالد عبد الكريم بسندي، جامعة الملك سعود، الرياض، الأولى، 1432هـ 2011م.
- شرح شذور الذهب لابن هشام، ومعه منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2004م.
- ضحى الإسلام لأحمد أمين، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى، 1427هـ 2006م.
- العوامل المئة في أصول علم العربية للجرجاني شرح الشيخ خالد الأزهري، ت د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، الثانية.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.